المعركة

تحرك الحصان بسرعة مخترقاً الضباب.. وأخذ يشق طريقه في قوة... وفجأة.. توقف في هلع ورفع قدميه الأماميين في خوف وأطلق صهيلاً يائساً.. سقط الفارس أرضاً من على ظهر الحصان ونظر ليرى سبب خوف حصانه فرأى العجاب.. رأى أرجلاً ضخمة أمامه.. تقف شامخة كالجبل. نظر إلى أعلى في تردد.. وأطلق صيحة يأس عندما رأى أمامه فيلاً ضخماً أسوداً ينظر إليه بشراسة ويهم أن ينقضّ عليه.. حاول الفارس أن يقاوم في بسالة.. حاول أن يعتلي ظهره.. ولكن هيهات.. رفع الفيل خرطومه الأسود الطويل وكاد أن يبطش بالفارس المغوار.. قاوم الفارس بكل ما أوتي من قوة.. خلع عن نفسه إزاره الأبيض وحاول أن يقاوم الفيل مرة أخرى ولكن باءت المحاولة بالفشل الذريع.. تراجع الفارس في يأس ورأى حصانه الجريح يتراجع ويهم أن يلوذ بالفرار.. أمسك لجامه في اللحظة الأخيرة.. وامتطاه في مهارة.. وتراجع في سرعة نحو قلعته وتقدم الفيل في ثقة وهو يدب على الأرض في غرور..

طوى الفارس وحصانه الأرض في سرعة نحو القلعة، ورأى

في الطريق فرساناً من بَني وطنه مضرَّجين في دمائهم بين قتيلٍ وجريح.. وبعد ساعات تراءت له القلعة المحصنة البيضاء تقبع وسط الصحراء في شموخ.. تنفّس الفارس الصُعداء ونزل من على حصانه وترجَّل في وهن، حتى دخل القلعة الخاوية إلا من بعض الفرسان.

«ماذا حدث؟»: التفت الفارس ليرى مصدر الصوت ثم قال في دهشة: سيدي الوزير؟!!!

ـ نعم.. أنا هو.. وأسألك عمَّ حدث..

ـ سيدي.. كنت أظنك قد انتقلت مع الفرقة الخامسة لمهاجمة قلعة العدو!..

ـ هذا ليس من شأنك أنت..

ـ ولكن يا سيدي كان هذا جزءاً من الخطة لنفاجئهم و..

ـ قلت لك: ليس من شأنك.. والآن قل لي بالضبط ما الذي حدث..

ـ سيدي لقد فاجؤونا بأفيالهم.. وفرت خيولنا من أمامهم كحُمرٍ مستنفرة.. و..

ـ أغبياء..

ـ ولكن يا سيدي..

فجأة قاطعهم صوت أحد الفرسان ينادي:

ـ العدو يهاجم القلعة.. العدو يهاجم القلعة..

وفي تلك اللحظة تماماً تهشم باب القلعة البيضاء في قوة ودخل القلعة فيلان ضخمان سوداوان وفرسانٌ يكسون وجوههم بلون أسود داكن، ودارت معركة غير متكافئة لصالح المهاجِمين.. قُتل جميع الفرسان أصحاب القلعة إلا فارسٌ واحد والوزير:

تقدم أحد فرسان العدو من الوزير وقال له:

ـ أين الملك؟!

ـ الملك؟

ـ نعم.. أين هو؟!

ـ لو أخبرتكم على مكانه هل تطلقون سراحي؟..

نظر إليه الفارس في سخرية ثم قال له: لا.. سنقتلك في الحالتين..

وفجأة انقض الوزير على الفارس واشتبكا في صراع عنيف انتصر فيه الفارس وقُتل الوزير في شراسة.

ـ انسحب الفارس المتبقي من جيش القلعة في خفة وامتطى حصانه وقفز من سور القلعة في شجاعة بحصانه فمات الحصان فتركه الفارس بأسى وأخذ يجري في الصحراء نحو القلعة

السوداء.. وأخذ يجري ويجري.. فهذا هو الأمل الوحيد له ولقومه.. سمع صوتاً يتردد في أجواء الصحراء يقول: «لا فائدة.. لقد خسرت».. ولكنه أخذ يجري ويجري.. ويجري حتى لاحت له القلعة السوداء في الأفق.. فزاد من سرعته في أمل.. ثم سمع صوتاً آخر يتردد في السماء: «سيصل».. فيرد عليه الصوت الأول: «لا.. لن يفعل».. أخذ يجري.. ويجري..

ـ «بل سيصل.. أؤكد لك».

ـ «لا لن يفعل».

اقترب الفارس من القلعة السوداء.. وحام حولها.. ثم سمع الصوت مرة أخرى: بل سيصل.. ها هو قد..

ـ قاطعه الصوت الأول: «لا لن يفعل».

ـ «لماذا أنت واثق هكذا؟».

وفي هذه اللحظة تماماً وفي القلعة البيضاء فُتح باب حجرة الملك وفاجأه الفارس الأسود بطعنة فأرداه قتيلاً في الحال.. ثم قال الصوت الأول: لهذا السبب.

ـ «كش مات!». ثم عاد الصوت الأول ليقول: هل علمت لماذا كنت واثقاً هكذا؟»

obeikandl.com

قام اللاعبان وصافحا بعضهما وأغلقا الشطرنج وغادرا القهوة.. وصرخ الفارس الأبيض من داخل صندوق اللعب: يا الله! لقد خانني الجميع! نظر في الأفق إلى قلعته البيضاء التي تصاعدت منها الأتربة ثم تذكر الوزير الخائن وقال بأسى: متى ينتصر الخير؟ متى.... ؟

obeikandl.com